

# وحدة الهم ووحدة القضية \*

من فلسطين الى لبنان

نجحوا في تجزئة الهم العربي عندما أضحى للعرب قضية ، ونجحوا في  
تجزئة الهم اللبناني عندما أضحى للبنانيين قضية .  
واذ بعثروا الهم كادوا ان يبددوا القضية .

قد يسأل سائل : علام تجهيل الفاعل ؟ من الذي نجح وبعثر وبدد ؟ وانا  
لا أريد ان أتوقف عند هذا السؤال او أن أنشغل بالرد عليه . فلا طائل من  
ذلك . المهم هو النتيجة . وهي واحدة . الذين عملوا على بعثرة الهم نجحوا في  
تبيد القضية او كادوا . فاذا كان هناك متآمر في الخارج فهو مسؤول . واذا  
كان هناك متخاذل أو خائن أو غافل في الداخل فهو مسؤول . والحقيقة العارية ،  
التي أضحت مع تطور الأحداث فاجرة ان جللا من الأمر مثل تبيد قضية ، ما  
كان ليتحقق لولا تكامل الأدوار عليه بين متآمر في الخارج يدس أصابعه في ثنايا  
المجتمع الواحد ليفتعل وقبعة ففتنة فمحنة ، وبين متخاذل أو خائن أو غافل في  
الداخل يتيح له ذلك أو يغريه اليه . ولا جدوى من توزيع المسؤوليات بين هذا  
وذاك ، فلا معايير لها ولا مقادير . فمن منطلق ان اصحاب الشان أولى  
بشأنهم ، فان اصحاب القضية هم المسؤولون اولاً وآخرأ عن تبيد قضيتهم .  
بعثروا الهم العربي عندما جعلوا لكل بلد عربي قضية : هذا في حربه مع

( \* ) مقال منشور في جريدة « اللواء » ، ١٩٨٤ / ٦ / ٢ .

جاره ، وهذا في نزاع على حدوده وهذا في تخلفه أو فقره وهذا في انقسام طائفي او  
فثوي في صفوف شعبه ، وهذا في تصدع عصب اقتصاده اكان نفظاً أو ممرأ مائثياً أو  
موردأ مالياً ، الى ما هنالك من ألوان المشاكل .

بعثروا الهم العربي فانشغل كل في همه . انشغل كل منا حتى عن الهم  
الأكبر ، هم التحرر من الصهيونية واطارها في قلب العروبة ، فلسطين ،  
وبلغوا في بعثرة الهم حد تبديد القضية ، أو كادوا ، عندما بدأت قضية فلسطين  
تتحول من قضية للعرب الى قضية للفلسطينيين في ما يشبه الانعزالية الجديدة .  
وكان ذلك تحت شعار أريد به حق فبلغ بأصحابه الباطل ، الا وهو شعار  
استقلال القرار الفلسطيني ،

أريد باستقلال القرار الفلسطيني تحصين قضية فلسطين من عبث أهل  
الانظمة العربية ، وفات حملة الشعار ان يميزوا بين نظام وشعب . فاذا بهم في  
سعيهم الى اقضاء قضيتهم عن منال الحاكمين في بلاد العرب ينجحون فقط في  
اقضاء شعوب العرب عن قضيتهم .

بديهي أن نفرق بين نظام وشعب ، في بلاد غابت عنها الديمقراطية .  
النظام مرآة الشعب . يختصر رغباته وتطلعاته وارادته في ظل الممارسة الديمقراطية  
الحقة فقط . وليس للعرب عموماً من ذلك نصيب . هذا الواقع البديهي زاغ عنه  
بصر حملة الشعار ، فحملوا الشعوب العربية حملاً ، في تعاطيهم مع قضيتهم ،  
على التفكير بأن قضية فلسطين هي قضية الفلسطينيين . اذن ما شأن العرب  
بها ؟ من هنا نقول : إذا كانت الأنظمة العربية تتحمل تبعات جساماً في سوء  
التعاطي مع قضية العرب ، قضية فلسطين ، فان أهل القضية المباشرين ، وهم  
سدنتها ، يتحملون تبعات لا تقل عنها جسامة حيال قضيتهم في سوء التعاطي  
مع الشعوب .

عندما تصبح قضية فلسطين قضية الفلسطينيين ، فانها لا تعود قضية

العرب القومية ، وفي ذلك وأد لها .

فهل يعني أهل القضية هذا الأمر فيصححوا المسار ؟

أما القول بأن الوقت قد فات فمردود . ففي قضايا المصير القومي ليس من اوان يفوت ، الا عند من يقرر ان يتخلى عن مصيره .

ويشق علينا ان نرى ان ما كان البارحة في فلسطين يتجلى اليوم في لبنان ، وما كان يصح على العرب بات ينطبق على اللبنانيين ، وما وقع لقضية فلسطين بدأ يقع لقضية لبنان .

كان للبنان قضية ، أياً يكن الوجه الذي يحرص هذا الفريق أو ذاك من اللبنانيين على ان يقدمه أو يبرزه أو يغلبه ، فهي في نهاية التحليل قضية شعب يبحث عن مكانه تحت شمس العزة والكرامة والعتاء في ظل دولة قادرة وعادلة . هذا جوهر قضية لبنان ولو ان بعض اللبنانيين خاض معركتها تحت شعار وحدة وطنهم او عروبتة أو إصلاح النظام السياسي فيه أو حماية الأقليات فيه أو خلاف ذلك .

كان للبنان قضية الى ان بدأ اهم اللبناني يتجزأ ويتفتت ، فاذا بنا نتحدث عن مشاكل مفروزة جغرافياً : من مشكلة في الجنوب الى مشكلة في اقليم الخروب ومشكلة في بيروت الكبرى ومشكلة في بيروت الغربية ، لا بل مشكلة في الضاحية واخرى في رأس النبع ، واذا بنا نتحدث عن مشاكل متميزة بشرياً ، من مشكلة أقليات خائفة ومشكلة اقلية مغبونة الى مشكلة مهجرين ومشكلة مفقودين ومشكلة مسحوقين تحت نير الاحتلال الاسرائيلي وما الى ذلك . واذا بالمشاكل تتعدد وتتشعب نوعياً ، من مشكلة امنية الى مشكلة اقتصادية ومشكلة طرق مقطوعة وموارد مسلوقة ومرافق معطلة او مشلولة .

تبعثر اهم اللبناني فاذا كل منا غارق في همه عن اهم الأكبر ، واذا القضية تكاد تتبدد .

حتى نستعيد قضيتنا ، حتى نسترد اعتبارنا كأصحاب قضية . علينا ان

نقلع عن أي تفكير بأن هناك قضية جنوب أو قضية اقليم أو قضية ضاحية أو قضية بيروت الكبرى ، أو حتى في التفكير عن ان هناك قضية امنية هي غير القضية السياسية او القضية الوطنية .

هناك قضية واحدة هي قضية لبنان .

لن يكون لبنان من غير جنوب محرر ومن غير اقليم الخروب او البقاع الغربي أو راشيا وقد استعادت كلها حريتها وكرامتها وانضواءها الكامل تحت لواء الوحدة اللبنانية .

سنفقد الجنوب عندما تصبح قضيته قضية الجنوبيين من دون سائر اللبنانيين . هناك مزالق تنصب لنا في هذا الاتجاه ، وعلينا محاذرتها ، ولعل اخطر المزالق طراً هو مشروع فدرلة لبنان ( اي جعله فدرالية ) . ففيه منتهى التجزئة للهم اللبناني . ويوم يصبح الجنوب كاتوناً متميزاً عن سائر الكاتونات ، فان المطالبة بتحرير الجنوب تغدو في حجم الكاتون لا في حجم لبنان . وفي هذا ضياع الجنوب ، هذا مع العلم ان حجم لبنان هو من حجم العرب بقدر ما ينجح في تأكيد عروبه في وجه إعصار الشعوبية الجامح الذي ما فتىء يعصف بأرضه منذ عشر سنوات وينذر من ثم باجتياح العالم العربي برمته .